Al-Tarikh Va Al-Hazarah Al-Islamiya
Royato Mu'asirah
ISSN: 2783-5154
Islamic Sciences and culture Academy
Scientific-Specialized Bi-Annual journal
Vol. 4 • No. 1 • Winter & Spring • 2024

Reflection on the Events Leading to Imam Hassan's (A.S.) Peace Treaty (Case Study: The Assassination of Imam Hassan (A.S.) in Sabaṭ, Mada'in by the Khawarij or a Conspiracy by the Aristocracy)

Mohammad Reza Hedayat Panah[1]
Email: hedayatpanah@bou.ac.ir; ORCID: 6526-2451-0008-0009

Received: 2023/06/02 **Accepted: 2023/11/13**

Abstract

One of the significant and influential events in the political history of Imam Hassan (A.S.) is his assassination on the road to Sabaṭ, Mada'in, which, according to the widely accepted view of historians, was carried out by the Khawarij. Based on these sources, two points have become prominent: first, the sermon delivered by Imam Hassan at Sabaṭ, which, due to the suspicion of his intention to negotiate peace with Muawiya, became the first issue that provoked the Khawarij to oppose him. Second, the Khawarij acted on this provocation by assassinating Imam Hassan (A.S.) on the way to Sabaṭ, Mada'in. Given the significant role this sermon and the attribution of the assassination to the Khawarij play in the broader analysis of Imam Hassan's peace treaty with Muawiya, it is necessary to scrutinize the major issues related to both the authenticity and content of these two topics. This study, using a descriptive-analytical method, examines the relevant sources concerning the sermon's content and the assassination event, which are closely connected, and investigates the primary conspirators

1. Associate Professor, Research Institute for Hawzah and University, Qom, Iran.

* Hedayat Panah, M.R. (2024). Reflection on the Events Leading to Imam Hassan's (A. S.) Peace Treaty (Case Study: The Assassination of Imam Hassan (A. S.) in Sabaṭ, Mada'in by the Khawarij or a Conspiracy by the Aristocracy). *Journal of Al-Tarikh va Al-Hadarah al-Islamiyah; Ruyat al-Mu'asirah*, *4*(7), pp. 144-171. https://doi.org/10.22081/ihc.2024.69233.1055

behind the assassination. Contrary to the widely accepted view, the study presents a theory suggesting a conspiracy involving the aristocracy and Muawiya's infiltrators as the masterminds behind the assassination of Imam Hassan (A. S.).

Keywords
Imam Hassan's sermon at Sabaṭ, assassination of Imam Hassan (A. S.), Khawarij, Jarrah ibn Sinan al-Asadi, aristocracy of Kufa, Imam Hassan's peace treaty.

التاريخ والحضارة الإسلامية
رؤية معاصرة
ISSN: ٢٧٨٣-٥١٥٤
مجلة علمية نصف سنوية
السنة ٤ ● العدد ١ ● شتاء وربيع ● ١٤٤٦ هـ

وقفة تأمّلية في الأحداث السابقة لصلح الإمام الحسن عليه السلام (دراسة حالة: اغتيال الإمام الحسن عليه السلام في ساباط المدائن: تورّط الخوارج أم مؤامرة الأشراف)

محمد رضا هدايت پناه[١]
Email: hedayatpanah@bou.ac.ir; ORCID: 6526-2451-0008-0009

Received: 2023/06/02 Accepted: 2023/11/13

الملخّص

من الأحداث المهمّة والمؤثرة في التاريخ السياسي للإمام الحسن عليه السلام هي محاولة اغتياله في طريق ساباط إلى المدائن، والتي تمّت -بناءً على رأي معظم المؤرّخين- على يد الخوارج. وفقًا لهذه المصادر، اشتهرت مسألتان: الأولى هي خطبة الإمام في ساباط، والتي أثيرت بسببها الشكوك حول نية الإمام الحسن في الصلح مع معاوية، واعتبرت أوّل ما حرّض الخوارج على معارضة الإمام الحسن عليه السلام والثانية هي تنفيذ هذا التحريض من قِبَل الخوارج بمحاولة اغتيال الإمام الحسن عليه السلام في طريق ساباط إلى المدائن. ونظراً للدور الهام الذي تلعبه هذه الخطبة ونسب محاولة الاغتيال إلى الخوارج في تحليل قضية صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بشكل عام، فإنّه من الضروري فحص الإشكاليات الهامّة التي تطرح حول هذين الموضوعين من حيث السند

١. أستاذ مشارك في مركز البحوث للحوزة والجامعة، قم، إيران.

* هدايت پناه، محمّد رضا. (٢٠٢٤م). وقفة تأمّلية في الأحداث السابقة لصلح الإمام الحسن عليه السلام (دراسة حالة: اغتيال الإمام الحسن عليه السلام في ساباط المدائن: تورّط الخوارج أم مؤامرة الأشراف). التاريخ والحضارة الإسلامية، رؤية معاصرة، نصف سنوية علمية، ٤(٧)، صص ١٤٤-١٧١.
https://doi.org/ 10.22081/ihc.2024.69233.1055

والمضمون. وفي هذه الدراسة، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، وبفحص الوثائق المتعلّقة بمحتوى الخطبة وحادثة الاغتيال التي تربطهما علاقة وثيقة تمّ التعمق في البحث عن العقول المدبّرة للاغتيال وتوصلت الدراسة إلى أنّ نظرية مؤامرة اغتيال الإمام الحسن عليه السلام قد طرحت من قِبَل الأشراف وعوامل معاوية المتسللين خلافًا لما هو مشهور.

الكلمات المفتاحية

خطبة الإمام الحسن عليه السلام في ساباط، اغتيال الإمام الحسن عليه السلام، الخوارج، الجراح بن سنان الأسدي، أشراف الكوفة، صلح الإمام الحسن عليه السلام.

المقدمة

بعد أن تولّى الإمام الحسن عليه السلام الخلافة وعدم استجابة معاوية لدعوته للبيعة وإعلان الحرب من قبل معاوية، تحرّك الإمام الحسن عليه السلام بجيشه من الكوفة لمواجهة معاوية، وأرسل اثني عشر ألف مقاتل كطلائع لجيشه بقيادة عبيد الله بن عباس وهم عسكروا في مسكن ثمّ تحرك الإمام الحسن عليه السلام مع بقية قوّاته نحو المدائن، فلمّا وصل إلى ساباط، توقف فيها، وألقى هناك قبل التوجه إلى المدائن خطبة تسبّبت في أوّل اضطراب في الجيش. وقد روى الدينوري هذه الخطبة كما يلي:

«أيّها الناس، إنّي قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضغينة وإنّي ناظر لكم كنظري لنفسي، وأرى رأيًا فلا تردّوا عليَّ رأيي، إنّ الذي تكرهون من الجماعة أفضل ممّا تحبّون من الفرقة، وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب، وفشل عن القتال، ولست أرى أن أحمّلكم على ما تكرهون» (الدينوري، ١٣٧٣ش، صص ٢١٦-٢١٧).

وقد نقل البلاذري وأبو الفرج الإصفهاني وابن أعثم الكوفي والشيخ المفيد خطبة الإمام الحسن عليه السلام مع بعض الاختلافات والإضافات الطفيفة في العبارات، ورغم أنّ تلك الروايات لم تتحدّث عن كراهية الحرب وعدم فرض أي أمر على الناس[1]، إلّا أنّ مضمونها جميعاً يذكّر الناس ببيعته على أساس السّلم

١. فنزل ساباط دون القنطرة فلمّا أصبح نادى في الناس: الصلاة جامعة فاجتمعوا وصعد المنبر فخطبهم (الإصفهاني، ١٣٨٥ق، ص ٧١) أو وفقا لرواية أخرى: فلمّا أراد الرحيل (أي؛ من ساباط نحو المدائن) قام في الناس خطيباً: «الحمد لله كلما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلّا الله كلّما شهد له شاهد، وأشهد أنّ محمدًا رسول الله أرسله بالحق وائتمنه على الوحي صلى الله عليه وآله. أما بعد، {أيها الناس! إنّكم قد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت: ابن أعثم} فوالله إنّي لارجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملًا على مسلم (أحد من هذه الأمّة: البلاذري، ابن أعثم) ضغينة{في شرق ولا غرب: ابن أعثم}و{حقدًا: البلاذري} ولا مريدًا له ←

والحرب، وأنّه لا يحتمل على مسلم ضغينة، ممّا يدلّ على ميل الإمام إلى الصلح والدعوة إلى اجتماع والتآلف بين المسلمين. ولكن اليعقوبي (اليعقوبي، ١٤٢٢ق، ج٢، ص ٢١٥)، وابن حبيب البغدادي (البغدادي، ١٤٢١ق، ص ٢١٩)، والطبري (الطبري، ١٣٨٧ق، ج٥، ص ١٥٩)، لم يذكروا دخول الإمام الحسن إلى ساباط ولا خطبته فيها. أمّا المقدسي، فرغم أنّه لم ينقل الخطبة نفسها، إلّا أنّه أشار إلى محتواها بشكل مختصر حيث ذكر أنّ الإمام «فقد ذكر رأيه وإيثاره السلامة» (المقدسي، بلا تا، ج٥، صص ٢٣٥-٢٣٦).

وفقًا للمصادر التي نقلت الخطبة، فلمّا سمع أصحابه ذلك نظر بعضهم إلى بعض، وظنّوا أنّ الإمام يريد أن يُصالحَ معاوية ويُسَلّم الأمر إليه، فقال من كان معه ممّن يرى رأي الخوارج: (كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله)، فشد عليه نفر منهم، فانتزعوا مُصلّاه من تحته، وانتهبوا ثيابه حتى انتزعوا مِطرَفه[1] عن عاتقه، فدعا الإمام بفرسه، فركبها، ونادى: (أين ربيعة وهمدان؟) فتبادروا إليه، ودفعوا عنه القوم. ثم ارتحل يريد المدائن، فكمن له رجل ممّن يرى رأي الخوارج، يسمّى الجراح بن قبيصة من بني أسد بمظلم ساباط، فلمّا حاذاه الحسن قام إليه بمغول[2] فطعنه في فخذ. وهجم على الأسدي عبد الله بن خطل وعبد الله بن ظبيان، فقتلاه وحمل الحسن على سرير إلى المدائن وعولج لمدة حوالي أربعين يومًا حتى برأ.

→

سوءًا ولا غائلة، ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبون في الفرقة، (الإصفهاني، ١٣٨٥ق، ص ٧١) {لكن تعبير ابن أعثم هو: ولما تكرهون في الجاهلية، والألفة والأمن وصلاح ذات البين خير ممّا تحبّون من الفرقة والخوف والتباغض والعداوة - والسلام-} (ابن أعثم الكوفي، ١٤١١ق، ج٤، ص ٢٨٧). وختام الخطبة مثل ما نقل الإصفهاني والبلاذري والمفيد{ألا وإنّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري ولا تردّوا عليَّ رأيي غفر الله لي ولكم...} (الإصفهاني، ١٣٨٥ق، ص ٧١)؛ البلاذري، ١٤١٧ق، ج٣، ص ٢٨٢؛ المفيد، ١٤١٣ق، ج٢، ص ١١).

١. المطرف واحد المطارف وهي أردية من خز مربعة لها أعلام.

٢. المغول: سوط في جوفة سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه ليغتال به الناس.

هذا التقرير هو أشهر تقرير روي في هذه المرحلة التاريخية وهو يثير العديد من التساؤلات. لماذا توقف الإمام في ساباط بدلاً من المدائن؟ وما هي الأخبار التي وصلته قبل الوصول إلى ساباط، والتي دفعته لإلقاء مثل هذا الخطاب؟ ولماذا ألقى خطاباً تحريضياً بدلاً من خطابٍ واعدٍ وحماسي، في حين أنّ جيشه لم يواجه معاوية بعدُ؟ لماذا ألقى خطاباً تحريضياً بدلاً من خطابٍ واعدٍ وحماسي في الأساس، في حين لم يواجه جيشه معاوية بعد، مما دفع الخوارج إلى سوء الفهم والتفسير الخاطئ ورد الفعل العنيف؟ هل ألقى الإمام الحسن عليه السلام حقاً مثل هذا الخطاب في ساباط وهل هاجم الخوارج الإمام في ساباط؟ والأهمّ من ذلك هل اغتالوه؟

هذه أسئلة للأسف، على الرغم من شهرة رواية هذا الخطاب في المصادر التاريخية، نادراً ما تمّ بحثها والتأمّل فيها بجدية ولم يتمّ الإجابة عليها بشكل صحيح. وقد قدّم بعض الباحثين، معتقدين بصحّة هذه القصة وتأثرًا بشهرتها، تفسيرات قد لا تكون مقنعة ولا تتوافق مع الأحداث الأخرى بل إنّ التدقيق في المصادر الأخرى يثير المزيد من الشكوك حول صحة التقرير، وربما يؤدّي إلى تغيير صورة القضية.

١. التوقف في ساباط

أوّل موضوع يجب توضيحه هو: أين وفي أي وضع ألقى الإمام هذه الخطبة؟ وما الذي حدث حتى أوقف الإمام جيشه في ساباط أولًا، خلافًا لرغبته ومصلحته التي كانت تستدعي الإسراع بوصول الجيش إلى المدائن، وألقى هذه الخطبة ثانياً؟ وهل هذه الخطبة هي نفسها التي ألقاها الإمام في ساباط والتي أدّت إلى هجوم الخوارج عليه ومحاولة اغتياله في الطريق بين ساباط والمدائن؟

لم تُشر المصادر السابقة بدقة إلى الظروف التي ألقى فيها الإمام هذه الخطبة.

يتضح من سياق الخطبة ونصّها أنّ هناك أحداثًا وقعت داخل الجيش حيث كشف الإمام عن أحوال الجيش العامة بالتحدث عن التفرقة والامتناع عن الحرب والتراخي في القتال ضد معاوية (الدينوري، ١٤٠٩ق، ص ٢١٧)، وذلك بالرغم من أنّهم لم يواجهوا معاوية بعد ولم تحدث أي معركة

ومن بين المؤرخين، كان الدينوري وحده من صاغ المسألة بطريقة مختلفة وكشف عن جانب خفي منها وهو أمر بالغ الأهمية ويتّسق مع نصّ الخطبة. وقد أورد الدينوري قائلًا: «فلمّا انتهى الإمام إلى ساباط رأى من أصحابه فشلًا وتواكلًا عن الحرب، فنزل ساباط، وقام فيهم خطيباً»

هذا التقرير يكشف عن المؤامرة أو الظروف الخاصّة التي كانت تحدث داخل جيش الإمام. تظهر هذه العبارة أن الإمام كان مضطراً للتوقف في ساباط وأنّ الجيش كان يعاني من همهمات الفتنة والإحباط تجاه الحرب، ولم يكن معلوماً من أي جهة كانت هذه الأفكار تنتشر وتروج في الجيش.

هذه المسألة أجبرت الإمام على التوقف في ساباط وربّما لإحباط مؤامرة الجواسيس والمتسللين الذين كانوا على صلة بمعاوية. لذلك، وبناءً على رواية الدينوري واقتراب الإمام من المدائن التي كانت موقعاً أفضل وأهمّ من ساباط وخطر استيلاء عبد الله بن عامر بن كريز علىها والذي أرسله معاوية نزل الأنبار يريد المدائن (الدينوري، ١٤٠٩ق، صص ٢١٦-٢١٧)، فإنّ هذا التوقف كان اضطرارياً لإصلاح الأوضاع داخل الجيش. ولهذا السبب، فقد أشيرَ في نص الخطبة إلى «ظهور الفشل والتواكل عن الحرب» وهذا الفشل والتراخي قبل ساباط يعتبر نقطة مهمة جدًا وأساسية لم تذكر في تقارير أبي الفرج الإصفهاني، وابن أعثم، والشيخ المفيد.

والمشكلة الرئيسة هي أنّ مثل هذه الخطبة، بالنظر إلى الظروف التي نشأت، غير مناسبة تمامًا وتتوافق أكثر مع التراخي والفشل. أي في مثل هذه الظروف

الحساسة التي أصبح فيها موضوع التواكل عن الحرب والاستسلام جليًا-حيث يقول الإمام «وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب، وفشل عن القتال»-يبدو أنّ واجب كل قائد هو إلقاء خطبة حماسية تعزّز عزيمة الجنود وتزيل كل يأس وقنوط وشك؛ ولكن ما حدث كان عكس ذلك تمامًا، فقد أُلقِيَت خطبة تدلّ على أنّ القائد الأعلى للقوات فقد استسلم للظروف فوراً ودون أي قتال مع العدو، وقبل مواجهته وهذا واضح من خطبته التي لم تبعث في نفوس الجنود الحَماس بل دفعت المستمعين إلى فهم خاطئ، وزادت من التراخي والتفرقة بينهم.

٢. تبرير الشيخ المفيد وتحليله ونقده

تحليل الشيخ المفيد هو أنّ الحادثة لم تقع، وأنّ هذه الأقوال صدرت من الإمام الحسن عليه السلام لمّا أصبح أراد أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطّاعة له، ليتميّز بذلك أولياؤه من أعدائه، ويكون على بصيرة في لقاء معاوية وأهل الشّام (المفيد، ١٤١٣ق «ألف»، ج٢، ص ١١).

تبرير الشيخ المفيد وتحليله وإن كان قد وجد له وجه في ضوء أحداث صفين وسلوك الجماعة التي أصبحت فيما بعد الخوارج إلّا أنّ هذا الامتحان يستحقّ التأمل من جوانب متعددة:

أولاً: إذا كان هذا الاختبار يهدف إلى معرفة رغبة الناس في الصلح فلماذا لم يُبدِ الكوفيون أي رغبة في القتال منذ البداية وبعد خطبة الإمام ودعوته إلى الجهاد؟ بل سكتوا سكوتًا دالًا على عدم رغبتهم، بحيث أنّ بعض كبار الصحابة والأصحاب الأوفياء للإمام علي عليه السلام قد وبّخوهم على ذلك؟ (الإصفهاني، ١٤١٩ق، صص ٧١-٧٢). ألم يكن الإمام قد أدرك رغبة الناس الجادة آنذاك، لكي يقع مثل هذا الامتحان في وسط الطريق؟

ثانيًا: غالبًا ما يكون الامتحان في مثل هذه الحالات صعباً لكي يتبين حماس الجنود واستعدادهم، كما امتحن طالوت جنوده بمنعه إيّاهم من الشرب. فهل يُعتبر امتحان جيش جاء للقتال من أجل الصلح وترك القتال أمرًا صعباً؟ خاصة وأنّ سلوك هؤلاء الناس قبل هذا الحدث وبعده يدلّ على أنّهم لم يبدوا أي استعداد للقتال على الأقل في هذه الفترة الزمنية.

ثالثاً، يجب إجراء الامتحان أو استطلاع الآراء عندما يمكن اتخاذ قرار مناسب، وليس عندما يكون الشخص مُجبَراً على ذلك ولا عندما يكون الأمر قد حُسم بالفعل. والآن، في الوقت الذي بذل فيه الإمامعليه السلام جهداً كبيراً لتحريك جيشه من الكوفة نحو المدائن للقتال مع معاوية، وكانت طلائع جيشه قد خيّمت في مسكن، هل سيكون الامتحان الذي يميل نحو السَّلام مُجديًا للإمام؟ ألم يكن بإمكان الإمامعليه السلام أن يختبر جيشه في الكوفة بأساليب مختلفة ليتّضح الأمر من البداية كما لم يقبل الإمام المجتبىعليه السلام البيعة على القتال وحده في مراسم البيعة لكن في الظروف التي أرسل فيها الإمام جميع قواته للقتال مع معاوية ويحتاج الجيش إلى خطبة حماسية، وتعزيز للمعنويات وذكر الأحداث الماضية للعبرة، والانتباه للمؤامرات الواضحة والخفية لمعاوية، فما المبرّر لأن يلقي الإمام في مثل هذه الظروف خطبة تمنح الخوارج ذريعة؟!

وقد أدرك الشيخ المفيد هذه النقطة، فمن جهة لم يقع بعد أي حدث جدي أو مواجهة، ومن جهة أخرى وفقًا لبعض المصادر، قد هاجم الخوارج الإمام بعد الخطبة. فقبل خطبة كهذه لتبرير هجوم الخوارج في هذه المرحلة. ولأنّه رأى من جهة أخرى أنّ هذه الكلمات بهذا المحتوى لا تتناسب مع الظروف والأحوال فقد طرح موضوع الامتحان. في حين أنّ الشيخ المفيد، بالنظر إلى الأدلة التي ستأتي، قد أخطأ في تصوره بشأن الخطبة وهجوم الخوارج من حيث الزمان والمكان.

بالإضافة إلى ذلك، بافتراض صحّة فرضية وتبرير الشيخ المفيد بأنّ هذه الخطبة كانت لأجل الاختبار، فإذا أضلّ كلام الإمام جماعة الخوارج، فلماذا لم يقم الإمام بإزالة اللبس على الفور وإعلان أنّ رأيه هو الجهاد مع معاوية وأنّ ما قيل كان للحصول على إرادة الجيش الحقيقية للقتال مع معاوية؟

بغضّ النظر عن كلّ ما سبق فإنّ الخطبة المذكورة ليست ملتبسة أو غامضة ذات إيهام على الإطلاق، بل تتّسم بالوضوح التام، وتُظهر صراحةً رغبة الإمام في الصلح بل تدلّ على قرار الإمام بهذا الأمر «و أرى اكثركم قد نكل عن الحرب، وفشل عن القتال، ولست أرى أن أحملكم على ما تكرهون». (الدينوري، ١٤٠٩ق، ص ٢١٧) لذلك فهم الخوارج بشكل صحيح أنّ موضوع الصلح كان هو المقصود، ولهذا هاجموا الإمام عليه السلام.

وهذه الأسئلة والغموض تستدعي تأمّلًا جادًّا حول هذه الخطبة ومحتواها حيث أنّها قد تعرَّضت للتحريف والتدليس وقد أُلقيت في ظروفٍ لا تتناسب مع الشُّمولية التي وردت في المصادر السابقة، ولا تتوافق مع الظروف التي دفعت الإمام إلى التوقف في ساباط والدليل والشاهد الآخر على التَّحريف الحاصل في هذه الخُطبة هو ما نقله ابن أبي الحديد - والذي يُرجَّح أنَّه استند إلى رواية المدائني- عن الإمام، حيث أضيفت في نهاية هذه الخُطبة مقولة للإمام حيث قال عليه السلام: «إنّ عليًّا أبي كان يقول لا تكرهوا إمارة معاوية فإنّكم لو فارقتموه لرأيتم الرءوس تندر عن كواهلها كالحنظل ثمّ نزل» (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨ق، ج١٦، ص ٢٦).

لا مجال للتحيّر في مثل هذا القول الصريح الذي ورد في قبول الصلح مع معاوية وتسليم الحكم له، فإنّ الإمام الحسن عليه السلام قد اتخذ قراره وأعلنه بوضوح وطلب من جيشه قبول ذلك. وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ تحيّر الخوارج لا مبرّر له، والأهمّ من ذلك أنّ مثل هذا القول في ساباط هو إعلان نهاية الأمر،

بينما يكون واضحًا تمامًا أنّ هذا القول يعاني من مشكلة خطيرة من حيث السند والنص والمحتوى ولا يمكن أن يكون صحيحًا، لأنّه ليس له إلّا سند ضعيف (رواية شاذة منكرة) نقله «الشعبي» عن «الحارث الأعور». والشعبي هو الذي قال: «كنّا جماعة ما منّا إلّا مَن نال مِن عليعليه السلام مقاربة للحجاج» (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨ق، ج١٣، ص ٢٣١). وقائل هذا القول المفبرك إذ كان يعلم أنّه بعيد عن أفكار وسيرة الإمام عليعليه السلام، فقد لجأ إلى تمهيد لكي يقبله القارئ، فقال: «لمّا علم عليعليه السلام أنّه لن يحكم بعد الصفين، شرع في بيان مسائل لم يكن يذكرها من قبل». ولم يذكر هذه الزيادة في الخطبة إلّا المدائني وحده، ولم يذكرها أحد من المصادر التاريخية الأخرى.

لذا فإنّ إضافة هذا الكلام إلى الخطبة نوع من تفسير أقوال الإمام الحسنعليه السلام بهدف إظهاره كمشجّع وراغب وعامل رئيس في دعوة الناس إلى الصلح، وهو موضوع وهدف صرّح به ابن شهاب الزهري وبعض المؤرخين (انظر: ابن سعد، ١٤١٦ق، ص ١٦٨؛ الطبري، ١٣٨٧ق، ج٤، ص ١٢٥؛ ابن كثير الدمشقي، ١٤٠٨ق، ج٨، صص ١٦، ٢١؛ ابن تغري بردي، ١٣٩٢ق، ج١، ص ١٤٠). ولا يمكن أن يكون صحيحًا من حيث الأحداث اللاحقة أيضًا. ولذلك يتضح جليًا أنّ مثل هذه الخطبة لم تكن في ساباط، وأنّ أقل ما يقال فيها أنّ النقل عنها قد تعرَّض للتحريف والتدليس.

ونظراً إلى هذه المعلومات، يبدو أنّ رواية الدينوري صحيحة من حيث انتشار هممهات الامتناع عن القتال قبل وصول الجيش إلى ساباط، أمّا من حيث نصّ الخطبة، فيبدو أنّ الخطبة أصلها صحيح، بغضّ النظر عمّا قاله الإمامعليه السلام، ولكن لا يمكن بالتأكيد أن تكون هذه الكلمات هي الكلمات الأصلية، لا سيّما الجزء المهم منها الذي يشير إلى الوهن والتراخي عن القتال، فلا يمكن أن يكون في هذه المرحلة الزمنية، بل هو مرتبط بالأحداث الأخيرة، كما ورد صراحة أنّ الإمام قد أكد على تراجع الناس عن القتال، وقال إنّه لن يجبرهم على ما لا

يحبّون (القتال). ويعتقد جعفريان استناداً إلى خاتمة الخطبة أنّ هذه الخطبة تعود إلى ما بعد الصلح، وردًّا على أسباب قبول الصلح (جعفريان، ١٣٨١ش، ص ١٥٣).

إضافة إلى هذه المعلومات، هناك تقريران عن الإمام الحسن عليه السلام يستحقان الاهتمام، ويمكن أن يساعد التدقيق فيهما على حل لغز هذا البحث إلى حد ما، ويُبيّن أنّ الخطبة المشهورة في ساباط لا أساس لها من الصحة، وأنّ مؤامرة الاغتيال في ساباط كانت بأي سبب وناتجة عن أي أفكار ومجموعات معينة ولأي غرض تمّ تنفيذها.

والتقرير الأول هو خطبة أخرى للإمام عليه السلام يقول فيها: «... إنّ معاوية دعانا لأمر ليس فيه عزّ ولا نصفة فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عزّ وجل بظبا السيوف وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى. فناداه الناس من كل جانب البقية البقية وأمض الصلح.» (ابن الأثير، ١٤٠٩ق، ج١، ص ٤٩١).

هذا التقرير يتعلق بزمان أرسل فيه معاوية ممثليه ليقترحوا الصلح، ولكن الإمام عليه السلام خاطب جنوده بخطبة حماسية قال فيها: «...إنّ معاوية دعانا لأمر ليس فيه عزّ ولا نصفة...» فكيف يمكن قبول أن يلقي الإمام خطبةً كهذه في بداية دخوله ساباط، حيث لم تحدث بعدُ أيّة أحداث تالية ممّا أدّى من جهة إلى استسلام الإمام وإساءة فهم الخوارج وسبّب في هجومهم عليه من جهة أخرى.

والتقرير الثاني يتضمّن قول الإمام عن سبب قبول الصلح، والذي يمكن تشبيهه بالخطبة التي يزعم بعض المؤرخين أنّه ألقاها في ساباط. وقد قال الإمام: «ما أردت بمصالحتي معاوية إلّا أن أدفع عنكم القتل عند ما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب، ونكولهم عن القتال. إنّي رأيت هوى عظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون» (الدينوري، ١٣٧٣ش، صص ٢٢٠-٢٢١).

وختام هذا الكلام يشبه تماماً ختام خطبة ساباط في حين أنّ بداية هذا

الكلام تبيّن أنّ الإمام لم يقل هذا القول في ساباط-كما في التقرير الأول-بل قاله بعد الصلح لتبريره وتوضيحه.

بناءً على هذين التقريرين، يمكن القول إنّ الخطبة التي نقلت عن الإمام بعد وصوله إلى ساباط تتعلق بأحداث لاحقة، بل حتى بعد الصلح، وبعض أجزائها ترتبط بوقت لاحق وفي الكوفة، كما انعكست في تقرير البلاذري أيضًا (البلاذري، ١٤١٧ق، ج٣، ص ٢٨٨). ويرى توفيق أبو علم أيضاً أنّ الخطبة المنقولة في ساباط تتعلق بالكوفة (أبو علم، بلاتاريخ، ص ١٨٤). ولم يذكر اليعقوبي أي إشارة إلى خطبة ساباط (اليعقوبي، ١٤٢٢ق، ج٢، صص ٢١٤-٢١٥)، وهذا يمكن أن يكون دليلاً على أنّ تلك الخطبة تتعلّق بأحداث ما بعد ساباط.

٣. ثورة الخوارج في ساباط أو المدائن

مسألة أخرى تثير الشكوك الجادة حول الخطبة المشهورة في ساباط هي موضوع ثورة الخوارج. فقد ذكر البلاذري وأبو الفرج الأصفهاني في رواية واحدة متطابقة تمامًا، تدلّ على مصدر واحد، أنّ هذه الثورة حدثت بعد خطبة الإمام في ساباط (البلاذري، ١٤١٧ق، ج٣، ص ٢٨١)؛ (الإصفهاني، ١٤١٩ق، ص ٧٢). ولكن بالنظر إلى ما ذكر سابقًا، ونقد السند والمحتوى للخطبة المنسوبة إلى الإمام عليه السلام يمكن القول بأنّ عامل وسبب ثورة الخوارج لم يكن مثل هذه الخطبة. والسؤال الذي يطرح الآن هو: إذا لم يُلقِ الإمام مثل هذه الخطبة في ساباط المدائن، فما الذي قام به الإمام في ساباط؟ وما كان سبب ثورة الخوارج؟

كما أشير إليه سابقًا، لم يذكر يعقوبي أي إشارة إلى الخطبة (اليعقوبي، ١٤٢٢ق، ج٢، صص ٢١٤-٢١٥) وقد ذكر الحادثة بشكل مختلف تماماً عن المصادر الأخرى. فقد ذكر أنّ هجوم الخوارج واندلاع الفتنة لم يكن في ساباط بل في المدائن، وأرجع ذلك إلى سبب آخر غير الخطبة المذكورة وبيّن ذلك بأنّ معاوية وجّه إلى

الإمام الحسن عليه السلام المغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن أم الحكم، وأتوه للصلح معه وهو بالمدائن نازل في مضاربه، ولكن يبدو أنّ هذه المحادثة لم تُثمر عن نتيجة. ولذلك عندما خرجوا من عند الإمام المجتبى عليه السلام قالوا بصوت مسموع للناس إنّ الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنة وأجاب إلى الصلح ولذلك هاجم الخوارج خيمة الإمام وعندما أراد الإمام الذهاب إلى ساباط (كذا) وقعت حادثة الاغتيال (اليعقوبي، ١٤٢٢ق، ج٢، صص ٢١٤-٢١٥).

بناءً على هذه الرواية، فإنّ الإمام قد توجّه من ساباط إلى المدائن دون أن يتعرّض لأي حادث، والأحداث اللاحقة هي التي التي أدّت إلى ثورة الخوارج عليه وإلى الفوضى في المدائن. ومن جهة أخرى، لم تسجّل أي من المصادر وجود ثورتين للخوارج (في ساباط والمدائن)، ولكن رواية اليعقوبي حول اغتيال الإمام تتعارض تمامًا مع روايات المصادر الأخرى. فبحسب الروايات الشهيرة، عندما أراد الإمام الانتقال من ساباط إلى المدائن تعرّض لمحاولة اغتيال من قِبَل أحد الخوارج الذي جرحه، وتمّ نقله إلى المدائن لتلقّي العلاج، وليس العكس كما ورد في رواية اليعقوبي، حيث ذكر أنّ الإمام تعرّض للاغتيال في طريق ساباط إلى المدائن.

والطبري وسبط ابن الجوزي أيضًا، دون إشارة إلى أحداث ساباط، فقد تحدّثا عن اضطرابات المدائن فقط كما فعل اليعقوبي (الطبري، ١٣٨٧ق، ج٥، ص ١٥٩؛ ابن الجوزي، ١٤١٨ق، ص ١٧٩)، ممّا يشير إلى عدم وجود ثورة في ساباط. وبعض الكُتّاب قد ربطوا الخطبة والثورة في المدائن بمسائل وأحداث لاحقة. ومنهم الصلابي، الذي ذكر أنّ خطبة الإمام الحسن عليه السلام كانت بعد المحادثات ووقوع الصلح، لإقناع الآخرين بهذا القرار (الصلابي، بلاتاريخ، صص ٢٩٦-٢٩٧) وبالنظر إلى أنّ رواية ساباط صريحة في أنّه لم يحدث بعد أي أمر-باستثناء

همسات الفتنة وإضعاف الجيش-جعل الناس يشكّون، فإنّ قول الصلابي لا يمكن أن يكون صحيحًا إلّا في الجزء الأول منه، أي بعد المحادثات، ولكن ليس بعد الصلح، بل قبله.

يذهب حسين إبراهيم الحاج حسن إلى أنَّ الإمام الحسن عليه السلام قد ألقى خطبته بعد أن بلغته أخبار خيانة عبيد الله، وخيانة الكندي، وخيانة المرادي، وانتشار خبر قتل قيس، واضطراب الجيش، بل وحتى مؤامرة اغتيال الإمام عليه السلام وجرحه على يد الجراح بن سنان الأسدي (الحاج حسن، ٢٠٠٧م، صص ١٩٦-١٩٧). وهذا الرأي يوافق قول الصّلابي. ويرى الشيخ راضي آل ياسين أنَّ الخطبتين (في ساباط والمدائن) خطبة واحدة، وأنّ رد الفعل عليهما صحيح أيضًا (آل ياسين، ١٤١٢ق، ص ٢٢٣).

إذًا، وبالنظر إلى جميع الروايات والمسائل المحيطة بها، يبدو أنّ الخطبة التي يقال إنّ الإمام الحسن عليه السلام ألقاها في ساباط، والخطبة التي ألقاها في المدائن-والتي قال الناس ردًا عليها "البقية البقية"-، كلاهما جزءان من خطبة واحدة تتعلق بالمدائن، وفي زمن أحدث من ساباط. لذا فإنّ الخطبة المذكورة هي خطبة المدائن لا ساباط، وليست فيها أي لبس، بل صرّح الإمام فيها بموقفه، ولكنها واجهت ردة فعل مزدوجة: فئة كانت تشكّل أغلبية الجيش ترغب في الصلح وتعارض الحرب كما قال الإمام عليه السلام، وفئة أخرى وهي الخوارج لم تكن تفكّر إلّا في الحرب وكانت تعارض رأي الأغلبية. ولذلك هاجموا الإمام. ولذا فإنّ كانت هناك خطبة أُلقيت في ساباط، فإنّها بالتأكيد لم تكن منسوبة للإمام ممّا شكك الخوارج فيها.

يمكن تلخيص كل هذه المعلومات على النحو التالي: عندما وصل الإمام الحسن عليه السلام إلى ساباط، بلغته أنباء عن وجود همسات ومحاولات داخل الجيش تهدف إلى إثارة الفوضى وإضعاف عزيمة الجيش في مواجهة معاوية، وهذه

التحركات أجبرت الإمام المجتبىعليه السلام على التوقف في ساباط لدراسة الأوضاع والظروف وتنظيم الأمور وبعد يوم أو أكثر اتخذ الإمام القرار الصائب بنقل الجيش إلى المدائن في أسرع وقت ممكن حتى يتمكّن من السيطرة على الوضع بشكل أفضل. وقد وقعت محاولة اغتيال الإمام على يد الجراح بن سنان الأسدي -الذي يُقال إنّه كان من الخوارج- في هذه الظروف وليس لهذا الاغتيال أي علاقة بالخطبة المذكورة أو وفقًا لرواية اليعقوبي فقد وقعت محاولة الاغتيال بعد الفوضى والهجوم على خيمة الإمام في المدائن، ولكن بالنظر إلى التفاصيل التي سيتمّ عرضها لاحقًا يمكن القول بأنّ فرضية الاغتيال بعد المدائن فضلًا عن كونها مخالفة للمصادر المتواترة، فإنّها لا تتسق مع التسلسل المنطقي للأحداث، وهي فرضية خاطئة تمامًا.

٤. اغتيال الإمامعليه السلام، هجوم الخوارج؛ الغموض والنقد

بناءً على التحليل المذكور أعلاه، فقد قام الإمام الحسنعليه السلام في ساباط بإجراءات لتنظيم الجيش أو ألقى خطبة، ولكن من المؤكّد أنّ هذه الخطبة لم تكن بهذا المحتوى. وإذا كان الأمر كذلك، فعلينا أن نسعى لحلّ هذا اللغز، فما هو السبب الحقيقي لاغتيال الإمام؟ ولماذا يريد شخص يُصنّف على أنّه من الخوارج أن يغتال الإمام أثناء توجهه من ساباط إلى المدائن؟ لقد اعتبر الخوارج أنفسهم أقدر من أي شخص أو جماعة على القتال ومعارضة معاوية، وكان الإمام الحسنعليه السلام قد أتى إلى المدائن بجيوشه لهذا الغرض نفسه. لذلك، فإنّ هدف المجموعتين، أي الإمام الحسنعليه السلام وجماعة الخوارج، كان متطابقًا ومتوافقًا بالتأكيد في هذه المرحلة الزمنية على الأقل. يكمن حل هذا اللغز في الإجابة على هذا السؤال: من هم الأشخاص الذين لم يفرحوا بجهاد الإمامعليه السلام وحربه ضد معاوية ولم يروا فيه مصلحتهم؟

٤-١. رأي الشيخ راضي آل ياسين

قدَّم الشيخ راضي آل ياسين تحليلاً آخر لما ذكره الشيخ المفيد. ذكر المفيد في بيان وتصنيف المجموعات المختلفة الحاضرة في جيش الإمام الحسن عليه السلام عدّة فئات من بينهم الخوارج الذين كانوا يفكّرون فقط في القتال مع معاوية. واعتبر الشيخ راضي آل ياسين هذا التفسير للمفيد حول الخوارج غير كامل، واعتقد بأنّ للخوارج أهداف أخرى خفيّة. وقد رجّح أن يكون الدافع الأساسي وراء ذلك الفتنة بين الجيشين واستهداف حكّام الإسلام في كل مكان. واعتبر طعن «الجراح بن سنان الأسدي» في مظلم ساباط دليلاً على ذلك (آل ياسين، ١٤١٢ق، صص ١٣١-١٣٢).

وفقاً لرأي آل ياسين، يبدو أنّ الفوضى في جيش الإمام الحسن عليه السلام قبل وصوله إلى ساباط ومحاولة اغتياله كانت جزءاً من خطة الخوارج.

هذا التحليل يبدو متشائماً ولا يتماشى مع أداء الخوارج وسيرتهم. ورغم أنّ الخوارج كانوا جماعة لا يرضخون لأي حكم وأنّ الفتنة أو الفوضى كانت جزءاً من هويتهم السياسية ويستبعد أن يقبلوا حكم الإمام الحسن عليه السلام لو هزم معاوية إلّا أنّه بالنظر إلى المعلومات السابقة والتفاصيل التي سوف تقدّم يتبيّن أنّ سيرة الخوارج في المرحلة التي كانوا فيها تخالف هذا التحليل تمامًا.

برأينا فإنّ الخوارج لما ذكرنا من أسباب لا يمكن أن يكونوا من الذين كرهوا القتال مع معاوية واعتبروه في تعارض مع أهدافهم ومطالبهم السياسية، بل على العكس تمامًا. فقد أرادوا قتل علي عليه السلام ومعاوية وعمرو بن العاص قبل ذلك بأشهر قليلة ولم يقتل إلّا علي عليه السلام فلم يكن لهم حافز غير القتال مع معاوية ليقفوا إلى جانب الإمام الحسن عليه السلام كما ورد في بعض الروايات أنّهم قد اشترطوا على الإمام الحسن عليه السلام القتال ضد معاوية للبيعة، وعندما شعروا بأنّ الإمام الحسن عليه السلام يميل نحو الصلح مع معاوية نتيجة للأحداث التي وقعت ورغبة

الناس، أصدروا الحكم بالكفر على الإمام عليه السلام وابتعدوا عنه. وبعد الصلح، حين تحرّكوا للقتال مع معاوية وأرسل إليهم معاوية خيلًا من خيل أهل الكوفة ليقاتلوهم قالوا لجماعة من الشيعة الذين وقفوا ضدهم: «ويلكم! ما تبغون منّا! أليس معاويه عدوّنا وعدوّكم» وبهذا النظر انضمّوا فيما بعد إلى عبد الله بن الزبير ووقفوا إلى جانبه وكل هذا يبيّن أنّ تحليل الشيخ المفيد يتطابق مع الواقع، وأنّ ملف وسِجلّ الخوارج السياسي إن كان صفحة واحدة فمكتوب عليها القتال مع معاوية والأمويين (راجع: هدايت پناه، ١٣٩٣ش، صص ١٩٧-٢١٣). لذلك، لا يمكن اعتبار إضعاف جيش الإمام الحسن عليه السلام هدفًا من أهداف الخوارج، لأنّ ذلك هو عمل يتّفق تمامًا مع رغبات وأهداف معاوية.

إذاً، لماذا يجب أن يغتال الخوارج الإمام المجتبى عليه السلام بالضبط في الوقت الذي كان يسارع للوصول إلى المقرّ الأصلي والانضمام إلى طلائع جيشه، راغبًا في إيصال نفسه وجيشه المصاحب له إليهم بأسرع وقتٍ، ليُتِمّ ما بقي من أمر معركة صفّين في معركة شاملة مع معاوية وجيشه في مسكن؟!

والدليل الآخر الذي يُظهر أنّ مؤامرة الاغتيال والاعتداء على الإمام في طريقه من ساباط إلى المدائن لم تكن من عمل الخوارج هو أنّه لو كانت خطبة الإمام الحسن عليه السلام في ساباط، كما تصوّرها المصادر التاريخية، هي السبب في سوء ظن الخوارج به وعلمهم بأنّه يعتزم الصلح مع معاوية فلماذا رافقوه إلى المدائن بعد محاولة الاغتيال وأصدروا الحكم بالكفر على الإمام عليه السلام بعد الأحداث والمحادثات واقتراح ممثلي معاوية ووخطبة الامام في المدائن بشأن اقتراح معاوية للصلح و... ثمّ هاجموه وخرجوا من المدائن بعد ذلك؟ (البلاذري، ١٤١٧ق، ج٣، ص ٥١). بل كان الأولى بهم أن يفعلوا ذلك في ساباط بعد تلك الخطبة المنسوبة إلى الإمام الحسن عليه السلام، والحقيقة أنّ انفصال الخوارج عن الإمام كان في المدائن وليس في ساباط (البلاذري، ١٤١٧ق، ج٣، ص ٥١).

وبناءً على ذلك، فإنّ اغتيال الإمام الذي كان يرغب في الإسراع في القتال مع معاوية في ذلك الوقت، ليس فقط ليس في صالح أهداف الخوارج، بل هو أيضاً يتعارض مع أهدافهم تمامًا.

٥. الاغتيال؛ مؤامرة الأشراف المتحالفين مع معاوية

بالنظر إلى ما سبق من الأدلة والبراهين الموجودة، يمكن طرح هذه الفرضية أنّ إثارة الفرقة والضعف في صفوف جيش الإمام واغتياله لم تكن تتماشى مع أهداف الخوارج ولا من عملهم، بل إنّ ذلك ينسجم تمامًا مع أهداف معاوية وينبع من مخطط عملاء معاوية بالتعاون والتآزر مع بعض الأشراف والشخصيات الذين كانوا يتراسلون مع معاوية سرًّا ويعارضون الجبهة العلوية وهناك أدلة تثبت هذه الفرضية. ومنها:

أوّلاً كما تبيّن أنّ الخوارج لم يكونوا جماعة تريد اغتيال الإمام في هذه الفترة الزمنية، بل كان الاغتيال مطلباً لمن لم يرغبوا في الحرب مع معاوية وكانت سياستهم الاستراتيجية هي منع الإمام من الوصول إلى طلائع جيشه في مسكن في حين أنّ الإمام في هذه المرحلة كان يسرع لتنظيم قواته وجيشه، وبحسب بعض المصادر، بعد يوم واحد فقط من التوقف في ساباط توجّه سريعًا نحو المدائن (الإصفهاني، ١٣٨٥ق، ص ٤٠؛ المفيد، ١٤١٣ق «ألف»، ج٢، ص ١١). لكي يصل إلى مسكن في أسرع وقت ممكن، وهذا ليس ما يريده الأشراف المتحالفون مع معاوية وجواسيسه. لذلك، لا يمكن تبرير الاغتيال إلّا للأشراف المتحالفين مع معاوية وجواسيسه الذين عندما رأوا أنّ خطة إثارة الفرقة والفوضى في الجيش لم تنجح ولم تستطع إيقاف الإمام عليه السلام، نفّذوا مخطّط الاغتيال.

ثانيًا كان أشراف الكوفة قد كتبوا إلى معاوية قبل وقوع هذه الحوادث وطلبوا منه الأمان (الإصفهاني، ١٣٨٥ق، ص ٦٩؛ البلاذري، ١٤١٧ق، ج٣، ص ٣٠)، وقد

أرسل معاوية هذه الرسائل مع الوفد المفاوض إلى الإمام الحسن عليه السلام ليُرغمه بأحسن وجه على القبول بالصلح والاتفاق (الطبرسي، ١٤١٧ق، ج١، ص ٤٠٣؛ الإربلي، ١٤٠٥ق، ج١، ص ٤٨٥). ولذا فإنّ الأشراف المتحالفين مع معاوية هم الفئة الوحيدة القادرة على إثارة الفتنة والمؤامرة في صفوف جيش الإمام عليه السلام تحقيقًا لأهداف معاوية.

ثالثًا، وفقًا لرواية، شمر بن ذي الجوشن كان من المكلَّفين بإثارة الفوضى في الجيش (المفيد، ١٤١٣ق «ب»، ص ١٣٩). من المرجّح أنّه لم يكن وحيدًا في تنفيذ هذه المهمة، بل من المؤكّد أنّ هذه المهمة كانت تتطلّب ثروة وقوة وتخطيطًا، وشمر وحده لا يستطيع أن يقوم بمثل هذا العمل، بل كان يعمل بالتعاون مع غيره من الأشراف والأتباع المتسللين الذين ساعدوه في تنفيذ هذه المهمة. وكانت هذه المجموعة هي العامل في إضعاف الجيش وإثارة الفرقة وإحباط جيش الإمام حتى الوصول إلى ساباط، ممّا أجبر الإمام على التوقف في ساباط والتأخر وإضاعة الوقت للوصول إلى المدائن.

وكان هؤلاء الاشراف والأفراد المتسللون ورؤساء بعض القبائل المتآمرون مع شمر أمثال شعث بن ربعي وعمرو بن حريث اللذين كانت لهما السوابق في النفاق والعداء لأهل البيت عليهم السلام بل إنّ عمرو بن حريث كان مكلفًا باغتيال الإمام علي عليه السلام بأمر من معاوية، ولكنه فشل (الطبري، ١٣٨٣ق، ص ٣١٧). والشاهد على هذه الفرضية هو أنّ معاوية قد رشى بعض الأشراف ورؤساء القبائل الكوفيين ومنهم شبث بن ربعي وعمرو بن حريث وحجار بن أبجر (راجع في ملف هؤلاء ضد الشيعة: هدايت پناه، ١٣٩٣ش، صص ١٠١-١٠٧) على أن يقتلوا الإمام الحسن عليه السلام ليعطيهم مائتي ألف درهم وقيادة جزء من جيوش الشام (الصدوق، ١٣٨٥ق، ج١، صص ٢١٩-٢٢٠). ولمّا بلغ هذا الخبر الإمام، كان يلبس الدرع تحت ثيابه. بل إنّهم رموه بسهم أثناء صلاته مرّة، ولكن لم يصبه أذى (الصدوق،

١٣٨٥ق، ج١، صص ٢١٩-٢٢٠). وكان هذا الخطر عظيماً جداً على الإمام الحسن عليه السلام، لدرجة أنّه كشف عن خيانة هؤلاء الأشخاص له عندما بيّن أسباب الصلح، وقال: «... واللَّهِ لَوْ قَاتَلْتُ مُعَاوِيَةَ لَأَخَذُوا بِعُنُقِي حَتَّى يَدْفَعُونِي إِلَيْهِ سِلْماً...» (الطبرسي، ١٣٨٦ق، ج٢، ص ١٠) والسؤال هنا: من هؤلاء الذين يتمتعون بهذه القوة والنفوذ في جيش الإمام، حتى يقول الإمام إنّهم يستطيعون فعل ذلك رغم وجود القوى الشيعية في الجيش؟ لذلك يبدو أنّنا يجب أن ننظر إلى قول الإمام هذا -بالنظر إلى الحادثتين السابقتين اللتين تم توضيحهما- على أنّه مفتاح سري يكشف عن مخطط شامل نهائي لهذه المجموعة من الأشراف ذوي النفوذ. وكان هذا المخطط الشامل، الذي تم التنسيق والتخطيط له مع معاوية، يتمثل في إثارة الفتنة والشغب في جيش الإمام الحسن عليه السلام في المرحلة الأولى، بهدف هزيمة الإمام، ثمّ اغتياله في ساباط أو في أماكن أخرى في المرحلة الثانية، وأخيراً، إذا اندلعت الحرب، تسليم الإمام إلى معاوية.

٥-١. تحديد زمن الاغتيال وارتداء الدرع

والرواية الأخيرة، أي مؤامرة معاوية مع الأشراف لاغتيال الإمام وارتداء الدرع، تكشف عن جانب آخر من فرضية اغتيال الإمام في ساباط على يد الأشراف. وبالتأكيد، لا يمكن أن يكون ارتداء الدرع بعد وقوع الصلح، وذلك لأنّ الإمام المجتبى عليه السلام أوّلًا قد حدّد بقوله: «...لَوْ قَاتَلْتُ مُعَاوِيَةَ لَأَخَذُوا بِعُنُقِي...»، وقت تسليمه لمعاوية بواسطة هذه المجموعة، أي بعد الحرب وليس بعد الصلح.

وثانياً، لم يعد للاغتيال بعد الصلح أي أهمية، لأنّ الاغتيال له معنى مع فرضية قرار الإمام بالحرب والتي يجب أن تزول، ولكن بإعلان قبول الصلح، أي تحقيق رغبة العدو، لا أهمية له.

وثالثاً، كان الإمام قد ذهب إلى المدينة بعد الصلح، ولا يوجد أي مبرر لارتداء الدرع في حالة عادية وغير حربية. لذلك، يجب أن يكون موضوع ارتداء الدرع تحت الثياب قد حدث في نفس فترة الذهاب إلى المدائن حتى وقت الصلح. والآن، إذا افترضنا أنّ هذه المؤامرة لمعاوية كانت بعد اغتيال الإمام في ساباط، فسيطرح السؤال التالي: كيف يكون من المعقول أنّ الإمام الحسن عليه السلام مع علمه بمؤامرة معاوية مع الأشراف لاغتياله، قد فكر هكذا في حماية نفسه، ولكن مع الاغتيال العملي للخوارج الذي تمّ من قبل، لم يدفعه ذلك إلى التفكير في ارتداء الدرع؟ بناءً على ذلك، يجب أن يكون ارتداء الدرع قد تمّ قبل الاغتيال العملي، ولذلك يمكن القول إنّ اغتيال الإمام كان مُدرَجًا على جدول أعمال الأشراف وكانوا ينوون القيام به حتى قبل ساباط؛ لذلك لماذا لا تكون هذه المؤامرة (محاولة الاغتيال) في ساباط نتيجة لمؤامرة الأشراف ذوي الدوافع وعوامل معاوية المتسللين؟ ولكن الأفضل أن يشاع باسم الخوارج. وهكذا، يبدو ارتداء الدرع تحت الثياب قبل هذه الحادثة معقولاً. كما يبدو أنّ الهجوم الذي تمّ من ناحية الفخذ يمكن أن يكون من جهة شاهداً على ارتداء الدرع بعد معرفة المؤامرة ومن جهة أخرى يدلّ على معرفة المهاجم التامّة بهذا الأمر.

من الأمور التي تستدعي التّأمل في تشكيك عملية اغتيال الإمام الحسن عليه السلام على يد الخوارج، هو ما جاء في العديد من المصادر بأنّ من نفّذ عملية الاغتيال هو الجراح بن سنان الأسدي. هذا الشخص غير معروف في التاريخ ولا توجد له أي سابقة إلّا في موضع واحد وهو في الفتوحات (الطبري، ١٣٨٧ق، ج٤، ص ١٢١). وهذا الأمر يثير الشكوك حول كونه من الخوارج. هو بدر إلى الإمام عليه السلام واقترب منه ثمّ طعنَه في فخذِه فشقَّه حتّى بلغَ العظمَ فاعتنقَه الحسنُ عليه السلام وَخَرّا جميعاً إلى الأرضِ وقد قتل الضارب شخصان من الشيعة يدعيان: «عبدُ الله بن خَطَلٍ الطّائي» «ظَبْيَانُ بنُ عُمارةَ» (البلاذري، ١٤١٧ق، ج٢، ص ١٢؛ الإصفهاني، ١٣٨٥ق،

ص ٧٢؛ المفيد، ١٤١٣ق «ألف»، ج٢، ص ١٢). فمن الذي حدّده بأنّه من الخوارج؟ يبدو أنّ الدليل الوحيد على ذلك هو الشعار الذي صاح به وهو يهاجم الإمام: «وقالَ: اللهُ أكبرُ، أشركتَ ـ يا حسنُ ـ كما أشركَ أبوكَ من قبلُ» (الإصفهاني، ١٣٨٥ق، ص ٧٢؛ المفيد، ١٤١٣ق «ألف»، ج٢، ص ١٢). ولم يكن هذا الشعار أمرًا معقّدًا لإخفاء هوية المخطّطين الحقيقيين للاغتيال وخاصة أنّ الخوارج لهم سوابق في اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام وكانوا مكروهين لدى الشيعة بشدة وهذة الذهنية يمكن أن تسهّل التصور أو إشاعة فكرة أنّ الاغتيال تم تنفيذه من قِبَل الخوارج، وأن تُبعد الشبهة عن شخص أو مجموعة أخرى. ولكن بالنظر إلى ردّنا على موضوع محتوى الخطبة في ساباط والأدلّة الأخرى التي تثبت مؤامرة الاغتيال من قِبَل الأشراف، يبدو أنّه لو كان هذا الشعار قد صدر عن الخوارج لكان ينبغي أن يبدي الخوارج رد فعل تجاهه. ولكنهم بدون أي إنكار أو ردّ على هذا الموضوع، ظلوا مع الإمام الحسن عليه السلام حتى المدائن وبعد مفاوضات الصلح، وكما هو معلوم فإنّ الخوارج بعد الرأي العام في قبول الصلح، هاجموا الإمام وانفصلوا عنه. ولذلك فإنّ الانفصال نفسه في هذه الفترة الزمنية دليل على أنّه لم يكن هناك قبل هذه الفترة موضوع قد أقنع الخوارج بأنّ الإمام يعتزم الصلح مع معاوية، ممّا جعلهم يرافقونه إلى المدائن. وعلى هذا الأساس يمكن القول بأنّ كون الجرّاح بن سنان الأسدي خارجيًا لم يكن مطروحًا حتى في تلك الفترة الزمنية، وأنّه ثمرة روايات المؤرخين اللاحقين.

النتيجة

تُبيّن الدراسات الوثائقية والنصية وغيرها من الأدلة والبراهين أنّ اغتيال الإمام الحسن عليه السلام في ساباط المدائن لم يكن نتيجة لاستفزاز الخوارج بسبب خطبة ألقاها الإمام عليه السلام في ساباط وفُهِم منها أنّه يميل إلى الصلح، وذلك لأنّ مثل هذه

الخطبة ذات المضمون السلمي في ساباط تتناقض مع أهداف الإمام والظروف السائدة حينئذ، ولم تُلقَ مثل هذه الخطبة أبدًا، بل إنّ الخطبة المذكورة كانت عبارة عن مقاطع من خطبتين أو ثلاث خطب ألقيَت قبل الصلح في الكوفة. ولذلك فإنّ اغتيال الإمام على يد الخوارج قبل الحرب كان مخالفًا لأهداف الخوارج. إنّ هذا الاغتيال، بالنظر إلى نتائجه والسجل والملف السياسي لبعض الأشراف ومراسلاتهم مع معاوية، وكذلك تشويش الجيش والاختلال فيه، كان مخطّطًا متعدد المراحل وضعه الأشراف، وكانت المرحلة الأولى منه هي تشويش الجيش والاختلال فيه وإيقافه عن التقدّم قبل الوصول إلى المدائن ثمّ الاغتيال بطريقتين مختلفتين، وبعد ذلك، في حالة اندلاع الحرب، كان الهدف هو القبض على الإمام الحسن عليه السلام وتسليمه إلى معاوية.

فهرس المصادر

١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن محمد. (١٣٧٨ق). شرح نهج البلاغه (ج١٣، ١٦، بلا طبع، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم). بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

٢. ابن الأثير. أبو الحسن علي بن أبي الكرم. (١٤٠٩ق). أسد الغابه في معرفة الصحابة (ج١، بلا طبع، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون). بيروت: دار الكتب العلمية.

٣. ابن أعثم الكوفي. أحمد بن محمد (١٤١١ق). الفتوح (ج٤، الطبعة الأولى، المحقق: علي شيري) بيروت: دارالأضواء.

٤. ابن تغري بردي. يوسف. (١٣٩٢ق). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (الطبعة الأولى). القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامّة.

٥. ابن الجوزي. عبد الرحمن بن أبي الحسن علي. (١٤١٢ق). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (بلا طبع، المحقق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا). بيروت: دار الكتب العلمية.

٦. ابن سعد. محمد بن سعد. (١٤١٦ق). ترجمة الإمام الحسين ومقتله من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير (بلا طبع، المحقق: عبدالعزيز الطباطبائي). بيروت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٧. ابن كثير الدمشقي. إسماعيل. (١٤٠٨ق). البداية والنهاية (بلا طبع). بيروت: دار الفكر.

٨. أبو الفرج الإصفهاني. علي بن حسين. (١٣٨٥ق). مقاتل الطالبيين (الطبعة الثانية، المحقق: كاظم المظفر). النجف الأشرف: المكتبة الحيدرية.

٩. الدينوري. أحمد بن داود. (١٤٠٩ق). الأخبار الطوال (الطبعة الأولى، المحقق: عبد المنعم عامر). قم: منشورات الشريف الرضي.
١٠. أبو علم. توفيق. (بلا تاريخ). تاريخ أهل البيت (بلا طبع). القاهرة: دار المعارف.
١١. الإربلي. علي بن عيسى (١٤٣٣ق). كشف الغمة في معرفة الأئمة (ج١، الطبعة الأولى، المحقق: علي آل كوثر). بيروت: دار التعارف.
١٢. آل ياسين. الشيخ راضي. (١٤١٢ق). صلح الحسن عليه السلام (بلا طبع). بيروت: منشورات الأعلمي.
١٣. البغدادي. محمد بن حبيب. (١٤٢١ق). المحبّر (بلا طبع). القاهرة: دار الغد العربي.
١٤. البلاذري. أحمد بن يحيى. (١٤١٧ق). جمل من أنساب الأشراف (ج٢، ٣، الطبعة الأولى، المحقق: سهيل زكار ورياض الزركلي). بيروت: دارالفكر.
١٥. جعفريان. رسول. (١٣٨١ش). حيات فكري وسياسي إمامان شيعه (بلا طبع). قم: أنصاريان.
١٦. الحاج حسن. حسن إبراهيم. (بلا تا). الإمام الحسن رائد الواقعية السياسية (بلا طبع). لبنان: دار الهادي.
١٧. ابن الجوزي. سبط. (١٤١٨ق). تذكرة الخواص (الطبعة الأولى). قم: الشريف الرضي.
١٨. الصدوق. أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي. (١٣٨٥ق). علل الشرائع. (ج١، بلا طبع). النجف: مطبعة الحيدرية.
١٩. الصلابي. علي محمد محمد.(١٤٢٦ق). خامس خلفاء الراشدين (بلا طبع). بيروت: دار ابن كثير.
٢٠. الطبرسي. أبو منصور أحمد بن علي. (١٣٨٦ق). الاحتجاج (ج٢، بلا طبع، المحقق: السيد محمد باقر الموسوي الخرسان) النجف: دار النعمان.

٢١. الطبرسي. حسن بن فضل. (١٤١٧ق). أعلام الورى بأعلام الهدى (ج١، بلا طبع). قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
٢٢. الطبري. عماد الدين. (١٣٨٣ق). بشارة المصطفى لشيعة المرتضى (بلا طبع). النجف: مطبعة الحيدرية.
٢٣. الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير. (١٣٨٧ق). تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك (ج٤، الطبعة الثانية، المحقق: محمد أبوالفضل إبراهيم). بيروت: روائع التراث العربي.
٢٤. المفيد. محمد بن محمد. (١٤١٣ق «ألف»). الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد (ج٢، الطبعة الأولى، المحقق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث). قم: المؤتمر العالمي لألفية الشّيخ المفيد.
٢٥. المفيد. محمد بن محمد. (١٤١٣ق «ب»). الاختصاص (بلا طبع، المحققان: علي أكبر غفاري ومحمود محرمي زرندي). قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.
٢٦. المقدسي. المطهر بن طاهر. (بلا تاريخ). البدء والتاريخ (ج٥، بلا طبع) (المحقق: بور سعيد). بلا مكان: مكتبة الثقافة الدينية.
٢٧. هدايت پناه. محمدرضا. (١٣٩٣ش). بازتاب تفكر عثماني در واقعه كربلا (بلا طبع). قم: پژوهشگاه حوزه ودانشگاه.
٢٨. اليعقوبي. أحمد بن إسحاق بن واضح. (١٤٢٢ق). تاريخ اليعقوبي (ج٢، الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.